﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ١٦﴾ [فصلت: 16]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

مَـنِ استكبرَ في الأرض، وجحَدَ بـآيـات الـلـه؛ كَـسَـرَه الـلـه بـالاستـئـصـال المُهين

بعد أن أظهرت الآيةُ السّابقة ما يخصُّ عادًا من استكبارهم في الأرض بغير الحقِّ، ومن تحدّيهم كلَّ القوى حتّى قدرة الله تعالى، فكانوا بذلك جاحدين؛ جاء دور الإخبار عن عقابهم الدُّنيويِّ الَّذي حاقَ بهم؛ بسبب ما كان منهم من استكبارٍ وتكذيب وجحود، دونَ ما ينتظرهم من خِزيِ الآخرة وعذابها.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿صَرْصَرًا﴾: (صرّ) أصلٌ يدلُّ على معانٍ، منها البَردُ الشَّديد مقابلَ الحرِّ، أو الحرُّ الشَّديد مقابلَ البرد، يُقال: أصاب النَّبْتَ صِرٌّ؛ إذا أصابه بردٌ يضُرُّ به، والصِّرُّ: صِرُّ الرّيح الباردة، والصّارَّةُ: شِدَّةُ حرِّ الشَّمس[1]، ومن معاني (صرَّ) كذلك: شِدَّة الصَّوْت، ومن ذلك: الصَّرَّةُ شِدَّةُ الصّياح، ويقال: صرَّ الجندبُ صريرًا، وصرصر الأخطب صرصرة، والصراري: الملاح، ويمكن أن يكون لرفعه صوته[2]، ومعنى ﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾، أي: عاصفةً تُصَرْصِرُ بمعنى تصوِّتُ في هبوبها، مِنَ الصَّرير، أو باردةٌ تُحَرِّق بشدَّة بَردِها[3].

2) ﴿نَّحِسَاتٖ﴾: (نحس) أصلٌ يدلُّ على خلاف السَّعد[4]، والنُّحاس: اللهيب بلا دخان، وذلك تشبيه في اللَّون بالنُّحاس، وأصل

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صر).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صر).
(3) النسفي، مدارك التنزيل: 3/ 231.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نحس).

النَّحْس أن يحمَرَّ الأُفُقُ، فيصيرَ كالنُّحاس، أي: لَهَب بلا دُخان، فصار ذلك مثلًا للشُّؤْم، قال الله تعالى: ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾﴾ [القمر: 19]، وقال: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾، قيل: معناه مشؤومات، وقيل: شديدات البَرْد[1].

3) ﴿ٱلْخِزْيِ﴾: (خزي) أصلان، يدلُّ أحدهما على السّياسة، فيقال: خَزَوْتُهُ؛ إذا سُسْتَهُ، والآخر على الإبعاد، يقال: أخزاه الله، أي: أبعده، ومقته، والاسم الخزْي[2]، وخَزِيَ خَزايَةً: استَحى، فهو خَزْيان[3]، وخَزِيَ الرَّجل: لحِقَه انكسار، إمّا من نفسه، وإمّا من غيره، فالَّذي يلحقه من نفسه هو الحياء المُفرِط، ومصدره الخَزايَة، والَّذي يلحقه من غيره، يقال: هو ضربٌ من الاستخفاف، ومصدره الخِزْيُ[4]، فمعنى ﴿عَذَابَ ٱلْخِزْيِ﴾: عذابُ الذُّلِّ والاستكانة[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

جـزاءُ المستكبِر عذابُ الخزي في الدُّنيا، وعـذابٌ أخزَى في الأُخرى

قال الله ﷻ في بيان عذاب الدُّنيا الَّذي أصاب قومَ عادٍ، دون الَّذي ينتظرهم من عذاب الآخرة: فَأرسَلنا عَلَيهِم ريحًا عظيمة في قوَّتها وشدَّتها، لها صوتٌ مُزعِج كالرَّعد القاصف، سخَّرها الله عليهم سَبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيّامٍ نَحِسات مشؤوماتٍ، فدمَّرتهم، وأهلكتهم، فأصبحوا لا يُرى إلّا مساكنُهم، من أجل أن يُختزَوا بهذا العذابِ، ويُفتضَحوا به بين الخليقة، وأمّا العذابُ الَّذي ينتظرهم في الآخرة؛ فهو أخزى منه، ولا يُمنَعون من عذاب الله، ولا يَنفعهم أحدٌ[6].

(1) الراغب، المفردات: (نحس).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خزو).
(3) الفيومي، المصباح المنير: (خزي).
(4) الراغب، المفردات: (خزي).
(5) الزمخشري، الكشاف: 4/ 193.
(6) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 746.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ العطف بالفاء:

الفاء في قول الله تعالى: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ﴾ عاطفةٌ لترتُّب ما بعد الفاء على ما قبلها وتسبُّبه عنه، فعِقابهم الَّذي حلَّ بهم[1] مُسَبَّبٌ عن استكبارهم وكفرهم وجحدهم، وفيه دلالة على أنَّهم هم مَن ظلَموا أنفسَهم باستجلاب هذا العقاب.

دلالةُ الفعلِ (أرْسَلْنا):

التَّعبيرُ في قول الله تعالى: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ﴾، بالإرسال للرّيح العاتية شديدةِ الصَّوت والبرد، فيه تنزيلٌ للرّيح منزلةَ رسولٍ يُكلَّف بأمرٍ لإبلاغه، فيقوم بما كُلِّف به خيرَ قيام، فالرّيح مأمورةٌ بما فَعلَت؛ لأنَّ أمرها بيَدِ خالقها ومُرسِلها مَن له العظمة والجلال، ولذلك أُسنِد الإرسالُ إلى ضمير العظَمة؛ لبيان عظَمة المُرسِل سبحانه، وعظَمةِ المُرسَل، وهو الرّيح الَّتي جاء وصف عِظَمِها في آياتٍ أخرى، منها قوله تعالى: ﴿بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٤ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٢٥﴾ [الأحقاف: 24 - 25].

الـرّيـحُ جـنـدٌ مـن جـنـودِ الله العظيمةِ

دلالة ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾:

(على) في قول الله تعالى: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا﴾ معناها الاستعلاء، والضَّميرُ المجرور به عائدٌ إلى قوم عاد، والتَّعبير بأداة الاستعلاء هنا دالٌّ على صَغارهم وحقارتهم[2].

سرُّ تنكيرِ الرّيح:

دلَّ تنكيرُ الرّيح في قول الله تعالى: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا﴾ على تعظيمها، فهي ريحٌ عظيمةٌ بلغت من قوَّتها أنَّها دمَّرتهم تدميرًا، كما

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 258.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 163.

قال تعالى عنها: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٢٤ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: 24 - 25].

لطيفةٌ في إفرادِ الرّيح:

ريـاحُ الرَّحمة لطيفةٌ نافعة، وريـحُ العـذاب عاصِفٌ عقيم

أفرد الرّيح في قول الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ دون اختلافٍ بين القرّاء؛ لأنَّ الغالبَ في القرآن أن يُفرَدَ ريحُ العذاب بلا خلاف - كما في قول الله تعالى: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٢٤﴾ [الأحقاف: 24]، وفي هذه الآية - وأن تُقرَأ ريحُ الرَّحمة بالجمع، كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ [الروم: 48]، وقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ [الروم: 46]، ويمكن أن يُقال في تعليل ذلك أنَّ رياحَ الرَّحمة مختلفةُ الصِّفات والماهيّات والمنافع، وإذا هاجت منها ريحٌ؛ أُثير لها من مقابلها ما يكسر سَورَتها، فينشأ من بينهما ريحٌ لطيفةٌ تنفع الحيوان والنَّبات، فكانت في الرَّحمة (رياحًا)؛ وأمّا في العذاب، فإنَّها تأتي من وجهٍ واحد، ولا معارضَ ولا دافعَ[1].

سرُّ الوصف بـ﴿صَرْصَرًا﴾:

تضعيفُ الكلمةِ يدلُّ على المُبالغة في معناها

وُصِفَتِ الرّيح في قول الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾، والمرادُ به بيانُ شِدَّة بَردِها وصَوتِها وعُصوفِها، فتَقطع القلبَ بصوتها، وتقهر شجاعته، وتحرق بشدَّة بردها كلَّ ما مرَّت عليه[2]، واللَّفظ إمّا مأخوذٌ من الصِّرِّ بمعنى البرد الشَّديد، أو من الصَّرَّةِ، وهي الصَّيْحَةُ[3]، أي: الصَّوت الشَّديد، وعلى كليهما فمعنى الشِّدَّة ملحوظٌ في الكلمة، ولأجل هذا ضُعِّفت، فقيل: (صَرْصَر) بتكرار جزأيها؛ للدَّلالة على المبالغة في معناها، كما هو الحال أيضًا في كلمات: (زلزل) و(سلسل) و(كبكب) ونحوها ممّا يُعرف

(1) الزركشي، البرهان: 4/ 10.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 163.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 295.

عند علماء اللُّغة بـ(المضعَّف الرُّباعيِّ)؛ وبعضُ اللُّغويّين المعاصرين يُطلِقون عليها: (الألفاظ الاهتزازيَّة)؛ لِما تدلُّ عليه من معاني الحركة والاهتزاز.

سرُّ التَّقييدِ بشِبهِ الجملة:

من المبالغة في الـخِـزي نـزول العذابِ عليهم نهارًا

حرفُ الجرِّ ﴿فِي﴾ من قول الله تعالى: ﴿فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ للظَّرفيَّة الزَّمانيَّة، والمقصودُ باليوم هنا هو ما يقابل اللَّيلةَ، وأوثِر التَّعبيرُ بالأيّام دون اللَّيالي - مع تضمُّنِ الأيّام لها - تحقيرًا لشأنهم، ومبالغةً في خِزيهم، أن يكونَ عذابُهم في وضَح النَّهار الفضّاح، لا في جُنحِ اللَّيل السَّتّار.

سرُّ وصفِ الأيّام بالنَّحسات:

وُصِـفـت بـالـنَّـحـسـات لشؤم العذاب المُخزي الَّذي حلَّ فيها بالقَوم

النَّحس هو الشُّؤم، ووُصِف اليوم بالشُّؤم في قول الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾؛ لسوء ما وقع فيه من أحداثٍ مُؤلِمة ومُخزية، فالمراد أنَّها كانت نحساتٍ لقوم عادٍ بسبب ما وقع عليهم فيها من العذاب المُخزي، لا أنَّ الأيّام نفسَها مَشؤوماتٌ على عموم البشر، ففي هذا الوصف مجازٌ عقليٌّ؛ إذ أُسند النَّحس إلى الأيّام من باب إسناد الشَّيء إلى زمانه[1].

وربَّما كان اختيار هذا الوصف؛ ليُناسِبَ معتقدَهم في الشُّؤم؛ ولا يُفَهم منه أنَّ له وجودًا في الحقيقة، فالشَّرع الحنيف أبطل الشُّؤم، وجاء في الحديث الصَّحيح: «لا طِيَرَةَ، وخَيرُها الفأل، قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الصّالحة يَسمَعُها أحدُكم»[2].

دلالةُ صيغةِ الجمع السّالم:

استـأصَـلـهـم العـذابُ المُهلِك في بضعةِ أيّام

دلَّ وصفُ الأيّام بـ﴿نَّحِسَاتٍ﴾ على صيغةِ جمع السَّلامة في قول الله تعالى:

(1) عفيف، الشامل في بلاغة القرآن: 3/ 156.

(2) صحيح البخاري، حديث رقم: (5754) وقوله ﷺ: "لا طيرة" نفي لما كانوا يعتقدونه في الجاهلية، وأصله أن يعتبر حال الطائر، إذا طار، فإن تيامن، فعلوا، وإن تشاءم، تركوا، واعتقدوا أن ذلك مشؤوم، ثم أُطلق على كل ما يتشاءم به، وابن حجر العسقلاني، فتح الباري: 1/ 151.

﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ﴾ على أنَّها أيّامٌ قليلات[1]، فلم تكن إلّا ثمانيةً، كما حدَّدها قولُه تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗا﴾ [الحاقة: 6 - 7].

دلالةُ المضارعة:

أوثِر التَّعبير عن الإذاقة بصيغة الفعل المضارع، في قول الله تعالى: ﴿لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ﴾؛ لتتهيَّأ للسّامع صورةُ العذاب الأليم الَّذي حلَّ بهم.

بلاغةُ الاستعارة في فِعل الإذاقة:

تشبيهُ العذابِ بطعامٍ هُيِّئَ لهم مغزاه التَّهكُّم، ومآلُه التَّهويل

في قول الله تعالى: ﴿لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ﴾ استعارةٌ مكنيَّة، فقد شُبِّه العذاب بطعام هُيِّئَ لهم على وجهِ التَّهكُّم، ثم حُذِف المشبَّهُ به، ورُمز إليه بشيء من لوازمه، وهو الإذاقة، والإذاقة تخييلٌ من ملائمات الطَّعام المشبَّه به[2]، ولا شكَّ أنَّ التَّعبير بالإذاقة أكثرُ تهويلًا من التَّعبير بالإصابة، فلو أنَّه قيل: (لِنُصيبَهم بالعذاب) أو (ليُصيبَهم العذابُ) ما قاد إلى هذا التَّهويل المفهوم من التَّعبير بالإذاقة.

بلاغةُ إضافةِ العذابِ إلى الخِزي:

أذلَّ اللهُ المكذِّبين بالعذاب المُخزي في الدُّنيا قبل الآخرة

العذابُ هو الإيجاع الشَّديد[3]، والخزي هنا الذُّلُّ والاستكانة[4]، وقولُ الله تعالى: ﴿لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ﴾ بإضافة العذاب إلى الخزي هو من باب إضافة الموصوف إلى الصِّفة، فالخِزيُ في الواقع هو صفةٌ للعذاب، من باب الصِّفة بالمصدر أو اسم المصدر، بدليل مقابلته بقوله تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰ﴾، أي: أشدُّ خِزيًا من خزي عذاب الدُّنيا، وفي الوصفِ بالمصدر مبالغةٌ في الاتِّصاف[5].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 164.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 261، وعفيف، الشامل في بلاغة القرآن: 3/ 156.
(3) الراغب، المفردات: (عذب).
(4) الزمخشري، الكشاف: 4/ 193.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 261.

معنى وصفِ العذابِ بالخِزي:

تعدّى الذُّلُّ والهوانُ من المُعذَّب إلى العذاب نفسِه لِفَرط شِدَّته

وُصِفَ العذابُ بالخِزي في قول الله تعالى: ﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ﴾؛ لأنَّ الإضافة هنا إضافةُ موصوفٍ إلى صفته، والخِزْي مصدَرُ (خَزِيَ)، بمعنى: ذلَّ، واستكان، وانكسر، فوُصِف العذاب بالمصدر للمبالغة، كأنَّه جُعِلت صِفةُ الخِزي بمنزلة شخصٍ آخَرَ يُضاف إليه مَوصوفُ العذاب[1]، والمعنى: (لِنُذيقَهم عذابًا ذليلًا مُهانًا)، ووصفُ العذابِ نفسِه بالذُّلِّ والهوان من الإسناد المجازيِّ، وهو أبلغُ مِن وصفِ المُعَذَّبين به، كما يُقال: له شِعرٌ شاعِر، فهذا أبلغُ من القول: هو شاعر[2]، ووَجهُ البلاغةِ في العدولِ عن وصف صاحب العذاب بالخِزي إلى وصف العذاب نفسِه به: أنَّ فيه إشعارًا بسَرَيان الخزي - لِفَرطِ شِدَّته - إلى ما يتعلَّق به، وهو العذاب[3]، وهذا أبلغُ من مجرَّد وصف مَن وقع عليه العذابُ بالخزي، ويحتمل مصدرُ الخِزي في هذه الإضافة أن يكون بمعنى الإخزاء، أي: (لِنُذيقَهم عذابًا مُخزيًا)، فاجتمعت في إضافة العذاب إلى الخزي في هذه الآية مُبالغتان: مبالغة الوصف بالمصدر، ومبالغة إضافة الموصوف إلى الصِّفة[4].

سرُّ التَّعبيرِ بِالظَّرفيَّة:

إذلالُهم في محلِّ استكبارهم هو تحذيرٌ لكلِّ ظالمٍ مستكبِرٍ في الأرض

حرف ﴿فِي﴾ من قول الله تعالى: ﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ مفيدٌ للظَّرفيَّة المحدِّدة؛ لكون هذا العذاب المنصوص عليه هو عذابهم في الدُّنيا؛ لأنَّ هنالك عذابًا أقسى ينتظرهم يوم القيامة، وفي التَّنصيص على وقوع هذا العذاب شديدِ الخزي والهوان في الحياة الدُّنيا إشارةٌ إلى إذلالهم في مكانٍ كانوا قد عَلوا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 261.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 296، والتفتازاني، حاشية على الكشاف: 6/ 517.
(3) التفتازاني، حاشية على الكشاف: 6/ 517.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 261.

فيه عُلوًّا كبيرًا، باستكبارهم في الأرض بغير الحقِّ، فيذلّون عند من تعظَّموا عليهم، في الدّارِ الَّتي اغترّوا بها، فاستكبروا فيها[1]، وفيه تحذيرٌ لكلِّ ظالم مستكبِر في الأرض أن يناله عذابٌ غيرُ بعيدٍ، بمقت الله وغَضَبِه وانتقامه.

معنى الواو:

الواو في قول الله تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ﴾ هي واو الاستئناف[2]، والجملة بعدها مستأنَفةٌ لا محلَّ لها من الإعراب، وهدف الاستئناف هو الفصل بين العذابَين: عذابِ الدُّنيا بالرّيح الصَّرصَر، وعذابِ الآخرة ببيان أنَّه أقسى وأخزى؛ ليرتَدِعَ كلُّ مستكبِرٍ جبّار.

قـوبِـل عـذابُ الـدُّنـيا بـعـذاب الآخـرة لتخويف المستكبِرين

ويمكن حملُها على العطف، بأن تكونَ الواوُ عاطفةً لهذه الجملة على ما سبقها، للجمع لهم بين العقابين: عقابِ الدُّنيا بالرّيح المُرسَلةِ وعقاب الآخرة، وهو أخزى[3]، وهو من عطف المعنى على المعنى؛ لأنَّها لا تقعُ مَوقِعَ المُفرَدِ من كلام قبلها، فهي تُخبِر عن عذاب الآخرة، وهو ليس مُرتَبِطًا بإرسال الرّياح[4].

معنى اللّام:

اللّام الدّاخلةُ على كلمة العذاب في قول الله تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ﴾ هي لامُ الابتداء، وفائدتُها التَّأكيد، أي: تأكيدُ كَونِ عذاب الآخرة أخزى، لا تأكيد وقوع العذاب، فإنَّ وقوعَه مُحَتَّمٌ لا يفتقر إلى تأكيدٍ في الإخبار به، وأُكِّد الخبرُ لإنكار المكذِّبين له[5]، فإنَّه لا يقول أحدٌ مثلَ قولهم: ﴿مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ﴾، ويستكبر مثلَ استكبارهم، إلّا وهو غير آبِهٍ بعذاب الآخرة.

لا جَرَمَ أنَّ عذابَ الآخرةِ أخزى من عذابِ الدُّنيا

(1) الشربيني، السراج المنير: 3/ 511.
(2) الخطيب وآخران، التفصيل: 24/ 277.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 261.
(4) أبو موسى، آل حم غافر وفصلت، ص: 372.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 166.

فائدةُ إضافةِ العذابِ:

عُرِّف لفظُ العذاب في قول الله تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ﴾ بإضافته إلى الآخرة؛ ليتميَّز بهذه الإضافة عن عذاب الدُّنيا - وهي إضافة تعريف - وليكونَ مقابِلًا له، وفي المقابلة بين الحياة الدُّنيا وعذابِ الآخرة مُحسِّنُ الطِّباق.

سرُّ التَّعبير بصيغة التَّفضيل:

عــذابُ الآخــرة أشــدُّ إخــزاءً وإهانــةً وإيلامًا من أشدِّ عذابٍ في الدُّنيا

جاء التَّعبيرُ باسم التَّفضيل في قول الله تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ﴾؛ جريًا على غيرِ قياس، وقياسُه أن يُقال: (أشدُّ إخزاءً)؛ لأنَّه لا يُقال: خزاه بمعنى أخزاه، أي: أهانه[1]، وغرض التَّفضيل هنا بيانُ أنَّ عذابَ الآخرة أشدُّ إخزاءً وإهانةً وإيلامًا من عذاب الدُّنيا.

أو هو مجازٌ عقليٌّ بإسنادِ الخزي إلى العذاب، الَّذي هو في الحقيقة وصفٌ للمعذَّب، فالتَّفضيل على هذا الوجهِ قياسيٌّ، والمعنى: (ولعذابُ الآخرةِ أشدُّ خِزيًا)، وُصِف به العذاب لحصول الخزي بسببه[2].

بلاغةُ الاحتراسِ في الآية:

دفــعُ تــوهُّـم قُـصورِ العـذابِ عـلى مـا مضى وقوعُه في الدُّنيا

إذا كان قول الله تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ﴾ معطوفًا على الجملة السّابقة، فهي احتراسٌ؛ لئلّا يحسبَ السّامعون أنَّ حظَّ أولئكَ من العقاب هو عذابُ الإهلاك بالرّيح، فعُطِف عليه الإخبارُ بأنَّ عذابَ الآخرةِ أشدُّ خِزيًا، أي: لهم ولكلٍّ من عُذِّب عذابًا في الدُّنيا بغضبٍ من الله[3].

معنى الواو في ﴿وَهُمۡ﴾:

الواو في قول الله تعالى: ﴿وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ﴾ عاطِفةٌ للجملة بعدَها على جملةِ: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ﴾، وهو من عَطفِ الجُمَل

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 261.
(2) الهرري، حدائق الروح والريحان: 25/ 324.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 261.

بعضِها على بعض، ويجوز أن تكونَ واوَ الحال، أي: أصابهم عذابُ الدُّنيا وسيُصيبهم عذابُ الآخرة، والحال أنَّهم لا يُنصرون[1].

سرُّ التَّعبير بالضَّمير:

مَن ينصرِ الله؛ ينْصُرْه

جاء المبتدأُ ضميرَ جمعٍ في قول الله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾؛ للتَّأكيد بالقصر على أنَّهم لا يجدون من يدافع عنهم في الآخرة، ويشفع لهم، فهُم لم يَنصُروا اللّهَ في الدُّنيا، فما لهم يومئذٍ ﴿مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠﴾ [الطارق: 10]، بخلاف المؤمنين الَّذين نصروا الله في الدُّنيا، فإنَّهم في الآخرة يجدون اللّهَ تعالى ناصرًا لهم ووليًّا، ورسولَهم لهم شافعًا.

وجهُ النَّفي بـ﴿لَا﴾:

نـفـيُ حـصـولِ النّاصر لهم في الدُّنيا والآخرة

أوثِر النَّفيُ بـ﴿لَا﴾ في قول الله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾؛ للدَّلالة على نفي وقوع النَّصر لهم في المستقبل، أي: يوم القيامة، ومِن النُّحاة من يرى أنَّ (لا) تكون لنفي الحال والاستقبال، وهي هنا أوقعُ لكونهم لا يجدون لهم ناصرًا من عذاب الله، فيدفعه عنهم، لا في الدُّنيا ولا في الآخرة.

سرُّ إيثارِ فعل النَّصر:

عـنـد حـلـول الـعـذاب تَعلو الأصـواتُ بالاستغاثة ولا ناصرَ لهم

السِّرُّ في إيثارِ التَّعبير بفعل النَّصر في قول الله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ هو البناء على ما يعلمه الله منهم، وما يتوقَّعُه المخاطَبُ من حالهم، أنَّهم عندَ حلول العذاب بهم في الدُّنيا قد استغاثوا لعلَّهم أن يجدوا لهم من عذاب الله دافعًا؛ وكذلك حالُهم في الآخرة، فإنَّ انقطاعَ الرَّجاء في وقوع النَّصر لهم أشدُّ وأقوى، ففيه تيئيسٌ لهم ولأمثالهم حتّى لا يبقى لهم أملٌ في دفْعِ عذاب الله عنهم، مهما استغاثوا، واستنصروا.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 166.

نكتةُ صيغةِ الفعلِ ﴿يُنصَرُونَ﴾:

عُبِّر بالمضارع في قول الله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾؛ لنفي وقوع النّاصر لهم حالًا واستقبالًا، بأيِّ وجهٍ من الوجوه، أي: (لا يجدون، ولن يجدوا نصرًا؛ مهما تجدَّد استنصارُهم)[1].

❁ الفُروقُ المُعجَميَّةُ:

النَّصر والتَّمكين والظَّفر:

لا يَجدون عند العذاب من يُعينهم على بلوغ الفَوز والغَلَبة على أعدائهم

أصل النَّصر يدلُّ على إتيانِ خيرٍ وإيتائه، يُقال: نصر الله المسلمين، أي: آتاهم الظَّفرَ على عدوِّهم[2]، والنَّصر والنُّصرة: العَون[3]، ويختصُّ النَّصر بمعنى المعونة على الأعداء، ويدلُّ عليه قول الله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر: 51]، وقوله: ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾ [الفتح: 3]، وقوله: ﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ۝١١٦﴾ [الصافات: 116]، فإنَّ مَساقَ الآياتِ الإخبارُ عن ظَفَر الأنبياء عليهم السلام، ونصرتِهم على أعدائهم، إمّا بالغلَبة، أو بالحُجَّة[4].

والتَّمكين مأخوذٌ من الفعل (مكن) بمعنى القرار في المكان[5]، والتَّمكين إعطاءُ ما يصحُّ به الفعلُ - كائنًا ما كان - من الآلات والعُدَد والقوى[6]، وهو معنًى يُشعِر بأنَّه لا يتحصَّل على التَّمكين إلّا بمغالبةٍ أو مساعدة؛ إذ يُقال: تمكَّن من كذا، أي: سيطر عليه مغالبةً لخصمه، أو مكَّنته من كذا؛ إذا ساعدته للحصول عليه.

والظَّفَر: هو الفَلْجُ والفوز بالشَّيء[7]، وأصله من: ظَفِرَ عليه، أي:

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 166.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نصر).
(3) الراغب، المفردات: (نصر).
(4) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 540.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مكن).
(6) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 142.
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ظفر).

نشب ظُفْرُهُ فيه[1]، والظَّفَر: العُلوُّ على المُناوِئ المُنازِع، قال الله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الفتح: 24]، وقد يُستعمل في موضع الفوز، فيُقال ظفر ببُغيَتِه، أي: فاز بها، وأصلُه نيل الحظِّ من الخير[2].

والتَّعبير بنفي النَّصر في قول الله تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ﴾ أولى من التَّعبير بنفي التَّمكين أو نفي الظَّفَر؛ إذ إنَّ معناه: (لا يجدون من يُعينهم على بلوغ الفوز في هذا اليوم، والغلبةِ على أعدائهم الرُّسل والمؤمنين في هذا اليوم)، وهذا المعنى متناغِمٌ مع تعبير القرآن في آياتٍ أخرى بنفي الوليِّ والنَّصير، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ۝٨﴾ [الشورى: 8].

(1) الراغب، المفردات: (ظفر).

(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 340.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والخمسون،
سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 52 ، 818 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-48-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 52 : المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-48-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0346315 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"